دير مدْيان (*)

للأستاذ صلاح الدين المنجد

قال الشابشتي : « وهذا الدير على نهر « كرخايا » ببغداد ؛ وكرخايا نهر ينبثق[1] من المحوّل الكبير ويمر على العباسية[2] ويشق الكرخ ويصبُّ في دَجلة ، وكان قديماً عامراً والماء فيه جارياً ، ثم انطم[3] وانقطعت جريته بالبثوق[4] التي انفتحت في الفرات

وهو دير حسنٌ نَزِهٌ حوله بساتين وعمارة ؛ ويُقصد للتنزه والشرب . ولا يخلو[5] من قاصد وطارق . وهو من البقاع الحسنة النزهة . وللحسين بن الضحاك فيه :

حث المدام فإن الكأسَ مترعةٌ
مما يهيج دواعي الشوق[1] أحيانا
إني طربت لرهبانٍ بجاوبة
بالقدس بعد هدوّ الليل رهبانا
فاستغفرتْ شجناً مني ذكرتُ به
كرخَ العراق وأحزاناً وأشجانا
فقلتُ والدمعُ في عينيَّ مطّردٌ[2]
والشوق يقدح في الأحشاء نيرانا
يا دير مِدْيان لا عُرِّيت من سَكنٍ
ما عِشْتَ من سَقمٍ يا دير مِدْيانا
هل عند قَسِّك من علم فيخبرني
أن كيف يصعد وجه الصبر من بانا[3]
سَقياً ورعياً لكرخايا وساكنه
بين الجنينة والروحاء من كانا[4]

قال : وكان أبو علي بن الرشيد يلازم هذا الدير ويشرب فيه . وكان له قيان يحملهم[5] إليه ويقيم به الأيام لا يفتر[6] عزفاً وقصفاً . وكان شديد النهتك ، وكان من يجاور الموضع يشكون ما يلقون منه . فانتهى الخبر إلى إسحق بن إبراهيم الطاهري وهو خليفة السلطان ببغداد ؛ فوجّه إليه يقبّح له فعله وينهاه عن المعاودة لمثله . فقال : « وأيّ يد لإسحق عليّ وأيّ أمر له فيّ ؟ . . . أتراه يمنعني من سماع جواريّ والشرب بحيث أشتهي . . . ؟ » فلما أتاه هذا القول منه أحفظَه ، وأمهل حتى إذا كان الليل ركب إلى الموضع وأحاط به من جميع جهاته . وأمر أن يُفتح باب الدير ويُنزلَ به على الحال التي هو عليها . فأنزل به وهو سكران في ثياب معصّفة ، وقد تضمخ بالخلوق[7] فقال :

(*) راجع أخبار هذا الدير في ياقوت (ج ٢ ص : ٦٩٥) طبعة أوروبا — وفي مسالك الأبصار ص ٢٧٧

(١) في الأصل « يشق » ولا معنى لها ، وقد أوردها كذا ياقوت في معجمه والعمري في مسالكه . ولعل الصواب كما أثبتنا .

(٢) محلة كانت ببغداد . قال ياقوت ج ٣ ص ٦٠٠ : « وأظنها قد خربت الآن ، وكانت بين يدي قصر المنصور قرب باب البصرة . وهي منسوبة إلى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس »

(٣) من العامي الفصيح .

(٤) في الأصل « بالسوق » على أن ياقوتا أثبتها « البثوق » . جمع بثق . جاء في الأساس « انبثق عليهم الماء إذا خرق الشط أو كسر الكر فجرى من غير نهر . والبثق المكان المكسور » فعل بمعنى مفعول . »

(٥) في الأصل « يخلوا »

وجوارحه بالعافية ؛ وأيما إنسان أحس في ضميره اختلاجة للحن من تلك الألحان المريضة ، فهو مشوه الفطرة سقيم الطبع ، شارب من النهر مخمور

وللصحافة رسالة يجب ألا تنكل عنها ، وواجب يجب أن تؤديه ؛ وقد تعاورني الرجاء واليأس في إصلاح هذه الحال ، ولكن يجب أن تكون فداحة العبء مثيراً لعظائم الجهد ، ومن يدري ، فقد نعثر على كنز مخبوء في طبيعة هذه الأمة ، أو منبع معمور من منابع الفطرة ، تزيل عنه الركام ، فإذا تفجراً كتسح هذه الرواكد وتلك المخلفات

« حلوان » سيد قطب

(١) في الأصل إلى جانب الشوق « الحزن »

(٢) في معجم البلدان « في عين منحدر ... »

(٣) في مسالك الأبصار ص ٢٧٧ : « ... وجه الصبر من خانا » ورواية الشابشتي أحسن .

(٤) في مسالك الأبصار ص ٢٧٧ : « ... لكرخايا وساكنها »

(٥) كذا في الأصل ، والضمير يعود إلى القيان ج قين وهو العبد (القاموس)

(٦) في الأصل « لا نفتر » وهو تحريف

(٧) الخلوق نوع من الطيب

سوءة لك ! رجل من ولد الخلافة على مثل هذه الحال ؟ » ثم أمر فنُفرش بساط على باب الدير وبُطح عليه وضربه عشرين درّة ، وقال : إن أمير المؤمنين لم يولني خلافته حتى أضيّع في الأمور وأهملها ، ولا حتى أدعك وغيرك من أهله تمرونه [1] وتفضحونه وتخرجون إلى ما خرجت إليه من التبذل والشهرة وهتك الحرمة [2] إلى الديارات والحانات ، وفي تأديبك صيانة للخلافة وردع لك ولغيرك عن هذه الفضيحة . ثم أمر بمهاريات [3] كانت معه فأركب فيها مع حُرمه وردّه إلى داره . فبلغ ذلك المعتصم فكتب إليه يصوب رأيه وفعله ويأمره ألا يرخص لأحد من أهل بيته في مثله

وأم أبي علي هذا تعرف « بشكل » . وكان الرشيد قد اشتراها وصاحبة لها تعرف « بشذر » في يوم واحد . فحملت شذر وولدت « أم ابنها » [4] ؛ فحظيتها « شكل » وبلغ بها الحسد إلى أمر عظيم من المعاداة حتى اشتهر ذلك . وحملت « شكل » وولدت أبا علي . وماتت أماها ؛ وبقيت المعاداة بين أبي علي وأم ابنها ، حتى بلغ الأمر إلى أن تهاجيا بالأشعار ، وشاع أمرهما في جميع آل الرشيد . فلما قتل الأمين وورد المأمون إلى بغداد جلس يوماً وعمه إبراهيم بن المهدي وأبو إسحاق [5] أخوه والعباس ابنه ، وتذاكروا المعاداة التي بين هذين ، فقال : لقد سمعت بخبر عداوتهما بخراسان ولقد هممت أن أصلح بينهما . ووجه فأحضر أم ابنها وأقبل يعاتبها وهي مطرقة لا تردّ جواباً . ثم أمر بإحضار أبي علي ، فلما رأته أم ابنها تنقّبت وسترت وجهها . فقال المأمون : كنت مُسفرة فلما حضر أخوك تنقبت ؟ قالت : والله يا أمير المؤمنين لسفوري بين يدي عبد الله بن طاهر وعلي بن هشام ، أوجب من سفوري لأبي علي ، فوالله ما هو لي بأخ ولا للرشيد بابن ، وقد قال الله عز وجل : « الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » . قال ابن عباس : « آمنهم من البرص والجذام » ... وهو والله أبرص ، ما هو إلا ابن فلان الفراش ... ! فأمر المأمون أخاه أبا إسحاق بجلدها حداً . فقالت : « سوءة يا أمير المؤمنين أن تحد أختك لابن الفراش وسنت على بنات الخلفاء الحد ، فوالله لقد ظننت أن أمره يستتر : فأما الآن فوالله لتتناقلنه الرواة وليتحدثن به إلى أن تقوم الساعة . ونهضت فقال المأمون : قاتلها الله ... فلو كانت رجلاً لكانت أقعد بالخلافة من كثير من الخلفاء ... وقلد أبا علي الصلاة على جنائز أولاد الخلفاء ليدرأ عنه العيب [6] (لهذا الفصل بقايا)

(دمشق) صبحي العربد المنجد

(١) من فلان إذا لقب بلقب يسوءه أي يشينه (اللسان ٦ : ٢٣٤)

(٢) في الأصل كلة طمست وغابت

(٣) المهاريات ضرب من الموادج يجلس فيه (معجم دوزي ج ٢ : ١٧٢)

(٤) في الأصل : أم أبيها ، وهو تحريف

(٥) كذا في الأصل ، والأولى أن تكون أبا إسحاق بالعطف على المفعول منه

(٦) في هامش الكتاب عند هذه السطور ما يلي : « ألا رحم الله لي أمير المؤمنين المأمون ما كان أوسع علمه وأغزر عقله في أمره وتقليده لأبي علي في الصلاة على الجنائز من أولاد الخلفاء ... ... » بخط رديء غير خط الناسخ

مفتاح دار السعادة

ومنشور ولاية العلم والإرادة

للامام (ابن قيم الجوزية) كتاب قيم في محاربة البدع والرد على الشبهات التي أثارها بعض المغرضين حول التعاليم الاسلامية . ويعد هذا الكتاب من أقوى الكتب حجة وبرهانا وأطولها باعا في الجدل والمناقشة وأحفلها بالأدلة المنطقية الجازمة . وقد عرض فيه طائفة من الشبهات ثم فرغ للرد عليها في قوة ومنطق مؤيداً بالحجة والبرهان متحدثا عن عجائب المخلوقات ومظاهر الحكمة الالهية التي لا يحيط بها الوصف ، وقد قام فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود ربيع المدرس بالأزهر بنشر هذا الكتاب فأخرجه في أسلوب دقيق من الضبط والتصحيح والتعليق وبذلك هيأ لطالبي العلم الانتفاع بهذا الأثر القيم من آثار أحد رجال الاسلام الذين عرفوا بحرية التفكير وقوة الحجة والبرهان ويطلب من مكتبة الأزهر بحارة الصوافرة بالدراسة بمصر ومن مكتبة عبد الرحمن صياد بشارع جوهر القائد (سابقا السكة الجديدة) وثمنه ١٨ قرشا بالبريد و١٥ قرشا عدا البريد .